الأربعون في أخلاق الأسرة

أربعون خُلُقًا من أخلاق الإسلام حول الأسرة
من سنة رسول الله ﷺ

د. محمّد صدّيق



الأربعون في أخلاق الأسرة

أربعون خُلُقًا من أخلاق الإسلام حول الأسرة
من سنة رسول اللّه ﷺ

د. محمد صدّيق

من إصدارات مؤسسة السبيل

٢٠٢٢

إهداء

إلى روح والدي الذي كان يدفعني لطلب العلم، والذي تمنّيت أن أودّعه في يوم وفاته، لكن الله شاء في قدره أن يبقى لقاؤنا مؤجَّلا إلى يوم يُظِلُّ الله بعرشه عباده المؤمنين بإذنه تعالى.

أخي القارئ وأختي القارئة، لا تنسياه من دعوة بالرحمة والمغفرة.

إلى الوالدة الكريمة التي كانت دعواتها لي ضياءً ونورًا

إلى كل عائلة مؤمنة ترى في نبيّها محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام القدوة والمثال والأسوة الحسنة.

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد أنك ربنا ورب السموات والأرض.. لك الحمد أنك اتصفت بالرحمة والجمال، والصلاة والسلام على محمد عبدك ورسولك نبي الرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن الإنسان يبقى مخلوقًا عجيبًا ذا شأنٍ كبيرٍ، وذلك أن الله خلقه للابتلاء والامتحان فجعله سميعًا بصيرًا وهداه النجدين إما شاكرًا وإما كفورًا. فما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات قدرته على أن يكون مخلوقًا أخلاقيًّا -كما يعبر عن ذلك د. طه عبد الرحمن-، والأخلاق هي القدرة على فعل الخير والابتعاد عن مُقارَفة الشر، والوعي بوجود الخير والشر. وعليه فإن واجب الإنسان الأول أن يكون أخلاقيًّا؛ مع الله، ومع الإنسان، ومع العالَم من غيره.

حَمَلَت الحداثة وما بعدها كثيرًا من التحدّيات على المستوى الإنساني والمستوى الاجتماعي، فالفردانية والحرية المطلقة إضافة إلى سيطرة الفلسفة النفعيّة جعلت من الإنسان يعيش في مستوى واحد، مستوى سطحي يتعامل مع الوجود وفق نظرة واحدة هي النظرة المادية النفعية، وهذا ما يهدّد وجود الإنسان على المستوى الأخلاقي بالدرجة الأولى. وهنا يأتي دور الأخلاق لتخبر الإنسان بأن له وجودًا آخر، إنه الوجود الذي يتجاوز السطح المادي ويدخل في عمق القيم والمعاني والأخلاق، فالإنسان مخلوق يولَد ضمن حدود مادية، لكنه لا يحيى إنسانيًّا إلا بتجاوزه لها.

وأهمُّ ما يجب الحفاظ عليه في هذه الفترة هي العائلة وروابطها القيميّة والروحيّة والأخلاقية، والحفاظ عليها ضروريٌ ليس على المستوى البيولوجي فحسب، وإنما على المستوى المعنوي والأخلاقي في الدرجة الأولى؛ لأن العائلة بيئة حاضنة لأولادها، وفيها يتم إعداد الإنسان ليكون ضمن عائلة أكبر هي المجتمع.

لذلك فإن من واجب المسلمين الآن أن يعودوا إلى ساحة العمل والمعرفة لينتجوا للعالم اليوم والإنسانية نظامًا معرفيًّا وأخلاقيًّا يمكّن للعائلة الإنسانية الاستمرار وفق نظرة الرحمة وترابط الجماعة قيميًّا، وليس وفق نظرة الفردانية وسيولة القيَم والمعرفة.

ومن هنا كانت فكرة هذا الكتيّب الصغير، الذي حاولت أن يكون لي فيه الإسهام -ولو بجهد يسير- في جمع بعض الأحاديث التي تنظّم أخلاق العائلة ضمن أربعين أصلاً، مقتفيًا أثر العلماء في هذا الباب، حيث كان العلماء يجمعون أربعين حديثًا يناقشون من خلالها بعض المواضيع، ومن نافل القول إن العدد الأربعون ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو عدد يشير إلى بداية الكمال لعددٍ من الدواعي سيردُ ذكرها.

وزّعت أحاديث الكتيّب على أربعين أصلاً، والمقصود من الأصل في هذا العمل هو القاعدة العامة التي دلّت عليها دلائل عدة، وقدَّمت للكتاب ببعض المقدمات المهمة التي أراها ضرورية لفهم الكتاب أولا، وفهم بعض المسائل الحساسة المتعلقة بديننا الحنيف.

وإني أرى نفسي مدينًا بالشكر لمؤسسة **السبيل** التي تبذل جهودًا كبيرةً في الدعوة إلى الله ومنظومة المعرفة والقيم الإسلاميّة بأسلوب جميل وجذاب، وعلى رأسها الأخ الفاضل الأستاذ **أحمد دعدوش**، وأشكرُ الصديق العزيز **عرابي عبد الحي عرابي** الذي تفضَّل مشكورًا بتحرير الكتاب، وتعديل ما احتيج لتصحيحه، فأسأل الله لهما حسن القَبول والجزاء المشكور، وإني لأرجو إذ أقدم هذا الجهد المتواضع لإخوتي وأخواتي أن يطّلعوا عليه ناصحين لي ولأنفسهم ولعوائلهم، فالإنسان قليلٌ وضعيفٌ بنفسه، كثيرٌ وقويٌّ بإخوانه.

محمد صديق

مدينة قونيا- الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ١٤٤٣

لهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام



المقدمة الأولى: الإسلام والأسرة.

قبل الدخول في صميم موضوع أخلاق الأسرة، لا بد من الوقوف قليلًا على مكانتها في الإسلام؛ إذ إن فهم النظام الأخلاقي الذي عرضَتْهُ الأحاديث النبويّة مرتبط أساسًا بفهم هذه المكانة وتدبُّرها.

تستمد العائلة أهميتها من أهمية الوظيفة التي تقوم بها، فهي أكبر من بيت يعيش فيه الأولاد مع الأب والأم، إنها المدرسة التي يتلقى فيها الطفل أعمق القيم وأرسخها والتي سيحيى بها وفيها ولها؛ ففيها يتعلّم الشاب معنى الحياة ومعاني الأبوّة، وتتعلّم فيها الفتاة معنى الحفاظ على الحياة ومعاني الأمومة. ولذلك تُظهِر المجتمعات اهتمامًا بالعائلة منذ ما قبل تشكيلها لأنها تزوّد المجتمع بالأفراد الذين يكملون المجتمع ويحافظون عليه.

لنقف قليلًا عند اللغة؛ حيث إن الأسرة تقدّم مدلولات عديدة لمعاني مشتركة في معنى الأسر والربط والوثاق، فالأسرة مشتقّة من الأَسر، ولهذا قيل للذي يقع في الأسر أسير، والأسر يعني الوثاق ماديًّا أو معنويًّا، وهذا الاشتقاق يحيل إلى أن الأسرة تقوم على رابطة قوية حصينة بين أفرادها، وتمتاز هذه الرابطة بالرحمة والمحبة والإحسان.

لم تَرِد أي من لفظتَي الأسرة أو العائلة في القرآن الكريم، إلا أن مصطلحات أخرى قد وردت في هذا السياق تشير إلى الأسرة، فمن هذه الألفاظ: الوالدين،

والأزواج، والإخوة، وغيرها، وبتجميع هذه المصطلحات يمكن ملاحظة أهمية الأسرة في القرآن من عدة مستويات:

المستوى الأول: العائلة من تجلّي نعم الله على الإنسان: فقد بيّن القرآن الكريم أن من الآيات التي تدل على عظمة الله وحكمته خلقه للإنسان أزواجًا من جنسه ومن نوعه، وجعل استمرار الحياة مرتبطًا بالأسرة، فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] وهنا نلاحظ أن الله استخدم لفظ (الرب) الذي يدلُّ في اللغة على المربّي والصاحب، فمن رحمة الله المربي والصاحب خلقُه أزواجًا من أنفس الناس وإخراجه منهم أولادًا يكملون مسيرة الاستخلاف في هذه الحياة.

المستوى الثاني: الأسرة تجمُّعٌ يقوم على الأخلاق: فقد أشار القرآن إلى أهمية الأخلاق في إنشاء الأسرة، وهذا يحيلنا إلى موضوعنا، فالأساس في إنشاء الأسرة ليس جملة الحقوق المكتسبَة وإنما الواجبات الأولية المتمثّلة بالرحمة والمودة، والرحمة والمودة مصطلحان يحتويان في داخلهما على مستويات متعددة من الأخلاق كالمغفرة والصفح والإحسان. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وكذلك أرشد الأولاد إلى وجوب الإحسان للوالدين فقال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] وقال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦] كما أرشد الوالدين إلى وجوب الإحسان للأولاد وآليات ذلك.

المستوى الثالث: الأصل دوامُ مؤسسة العائلة: خلال تتبع آيات القرآن الكريم والأحاديث نلاحظ أن الإسلام يهتم باستمرار العائلة، وقد وضع لذلك طرقًا متعددة فعلاً، فلم يفصل بين الزوجين بمجرد طلقة واحدة، بل جعل إمكانية عودة الزوجين إلى حالتهما الزوجية -بشروط بيّنها الفقهاء في مواضعها- كذلك جعل الإسلام الطلاق -رغم إباحته- آخر الحلول؛ وذلك لأن فيه إنهاء لعائلة.

كما أوضح القرآن أنه في حالة حدوث الخصام فالصلح هو خير الطرق، فطلب تحقيق هذا الصلح عبر حضور ممثلين للزوج والزوجة وتبادل وجهات النظر في سبيل تحقيق عودة المودة والرحمة إلى الطرفين، وهذا لأن الزواج ليس مجرد نزهة للزوجين بقصد قضاء الوطر الجنسيّ، بل هو ميثاق غليظ -كما سمّاه القرآن- وهذا يدل على أن الزوجين يجب أن يكونا واعيَين بمسؤولية علاقتهما العائلية، فالعائلة وأساسها قائمان على عقد شديد بينهما، وهذا العقد ليس مجرد عقد قانوني، بل هو عقدٌ أخلاقي بالدرجة الأولى.

إن استخدام القرآن لكلمة زوج/ أزواج يحمل بعد مهمًا، فالشيء لا يكمل إلا بزوجه فهما متحدان ومكملان لبعضهما. فكمال الحياة يكون باجتماع الزوجين واستمرارهما.

المستوى الرابع: العائلة قرة عين وراحة نفسية لمن أدرك قيمتها: ففي حديثه عن دعاء عباده المؤمنين، بيّن الله في القرآن أنهم يدعونه قائلين ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] وهذا يشير إلى أنّ العائلة والأولاد هم نعمة من الله ودوام النعمة مرتبط بشكرها وحسن التعامل معها.

وأستشهد هنا -في خاتمة هذه المقدمة- برأي الدكتور هبة عزت عن الأسرة، حيث ترى أن الإسلام ينظر إلى الأسرة على أنها وحدة من وحدات الإعمار الكوني، وهي مؤسسة تقوم على الرحمة فيما بينها وليس فقط على الحقوق، وعلى ذلك فهي ليست مؤسسة قائمة على الصراع والتصارع بل على التراحم والتعاون[1]

المقدمة الثانية: الأخلاق: أساس الدين وهدفه، ونظام حياة متكامل يتجاوز العلاقات المادية.

إن من أهم من أهداف الإسلام التي بعث لتحقيقها النبي عليه الصلاة والسلام إقامة نظام أخلاقي في حياة الفرد المسلم الشخصية والاجتماعية، وهنا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]. فالمؤمن مطالب بتحقيق هذه الأخلاق في علاقاته كلها حتى مع العالم الحيواني، ونذكر هنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[3]، وطلب عدم الإسراف في الماء، وعدم قتل الحيوانات إلا للأكل، وعدم اللعب بالحيوانات، وعدم الجلوس على الحيوانات والتحدث أثناء ذلك، كل هذا من النظام الأخلاقي في الإسلام الذي يشمل بقواعده وتطبيقاته مناحي الحياة.

إن الأخلاق الواجب الأول على المسلم، فالصدق والرحمة والإحسان وغير ذلك واجبات أمرنا بها الإسلام وألحَّ علينا في الإتيان بها، وفي القرآن والسنة نصوص

---

(١) المرأة والعمل السياسي، هبة رؤوف عزة، ص: ١٨٧

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٢٧٣).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح برقم: ١٩٥٥.

كثيرة تتكلم عن مكانة الأخلاق في الدين، وأن صاحب الخلق قريب من الله وقريب من رحمته.

أول مبادئ التخلُّق في الإسلام تقوم على فعل الواجب بنية حسنة، مع انتظار الأجر فقط من الله، فالواجب هنا الواجب ذاتيٌّ أخلاقي، والواجب الأخلاقي أعمق وأكثر أثرًا من الواجب القانوني، فالقانون قد يوجب شيئًا معنيًا بحد معين، أما الواجب الأخلاقي فقد يوجب أكثر من ذلك بناء على الدافع الداخلي عند الإنسان، وهذا الدافع متصل بالله وبمعرفته سبحانه وتعالى، ولنقدّم مثالًا بسيطًا هنا يشرح المقصود، فالشريعة توجب خمس صلوات، أما الواجب الأخلاقي فيوجب على المُحِبِّ صلاة النوافل ويدفعه إليه بدافع المحبة والخشية والشوق، ولهذا فلا حدود للواجب الأخلاقي، فمهما فعل الإنسان من خير فهناك مرتبة أعلى، قال الله تعالى في حديثه عن الأنبياء: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وفي أهمية هذا الواجب الأخلاقي نذكّر الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره)[(١)].

إن الأخلاق في الإسلام قائمة على ملاحظة هذا السؤال: (ما الواجب الذي يجب أن أفعله في هذه الحالة؟) وبما أن الإنسان في كل لحظة، وفي حال مسؤول وراعٍ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، فإنّه في كل حال مسؤول، وهذه المسؤولية تقتضي القيام بنوع من أنواع الواجبات القانونية والأخلاقية، وبما أن «الله كتب الإحسان على كل شيء»[(٢)] و«إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه»[(٣)] فإن

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، برقم: ٦٥٠٢.

(٢) مرّ تخريجه.

(٣) ذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، وهو ضعيف.

المسلم المسؤول والراعيَ سيبذل جهده لفعل الخير الذي يجتهد في تحصيله. فالأخلاق تعني القيام بواجب الوقت على أحسن شكل خالصًا لله تعالى.

وألفت هنا إلى أحد مظاهر من مشاكل حياتنا المعاصرة، أنها قائمة على (الحقوق)، وليس على الأخلاق -بتعبير المفكر عبد الوهاب المسيري رحمه الله- فإنّ حياتنا قائمة على التعاقد وليس التراحم، فالكل مشغول بتحصيل حقوقه والبحث عنها، ولكن أثناء بحث الناس عن حقوقهم، يضيع الحديث عن الإحسان وعن الأخلاق، فلو غيّرْنا الحال إلى الحديث عن الإحسان والقيام بالأخلاق لأصبح الحال أفضل لأنه وعندما يتحقَّقُ هذا الحال، ستكون الحقوق قد تحققت واستقرّ أيضًا عمل الخير بين الناس.

لقد رسم الإسلام إطارًا أخلاقيًا للعائلة، والغاية أن تصبح الحياة في العائلة أقرب للمودة والرحمة التي هي أساس العلاقة الداخلية فيها، إن هذه الأخلاق جديرة أن تصبح إطارًا عالميًا لكُلِّ الأُسَر في العالم لو قُمنا نحن المسلمين باستثمارها بشكل جيد وشرحها للعالم بشكل وافٍ؛ لأن هذه الأخلاق -في الدرجة الأولى- صادرة عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو المُوحى إليه، ففي هذه الأخلاق بُعدٌ إلهي.

كما أنها تراعي جانبي الحياة اليوميّة في العائلة المادِّيّ والروحي، فلا تنظر هذه الأخلاق إلى العلاقة بين الجنسين على أنها علاقة قضاء شهوة، بل هي علاقة مُؤَسَّسة وفق كلمة الله والنهج الذي ارتضاه، وهي بالتالي مُؤَسِّسة لنظام حياة يراعي أبعاد الإنسان المادية والروحية.

إلى جانب ذلك فهي تراعي أحوال الزوجين وتقلّبات حياتهم النفسية -وخاصة الزوجة- كما سنرى، وتجعل من المراقبة الدَاخلية المُؤسَّسة على مراقبة الله

بالإضافة إلى المراقبة الخارجية المتمثلة بالأحكام القضائية أساسًا لدوام الاستمرار والاستقرار.

إن من ميزات النظام الأخلاقيّ في الإسلام أنه لا يطلق أحكامًا ثابتة، بل يربط كثيرًا من الأمور بالمواقف ويترك التقدير للإنسان المسلم، فالجهاد في سبيل الله من أعظم القربات وثوابه معلوم عند الجميع لكن رغم ذلك فإن الرسول طلب من رَجُلٍ أن يعود إلى والديه وأن يجاهد فيهما ببرِّهما، والفهم الصحيح لهذه الحالة يقتضي أن ندرك أن والِدَي هذا الرجل بحاجةٍ إليه لعجزهما أو ما شاكل ذلك، وعلى هذا فإن الإنسان المسلم يجب أن يدرك هذه النقطة فيدرس ما يقتضيه الحال ويبذل جهده لمعرفة الواجب الخُلُقِيِّ الذي يفرضه الوقت.

المقدمة الثالثة: الأحاديث النبوية: الفهم الكلي أساسٌ للفهم الصحيح.

تحتاج النصوص الدينية إلى منهج دقيق في فهمها، ذلك أن هذه النصوص ليست كالقواعد القانونية الصلبة التي لا تحتمل التأويل، وهنا نُدرِك خطأ من يحاول فهم هذه النصوص بصورة ظاهرية بحتة، فالقرآن والحديث جاءا بلغة عربية، ومن المعروف أن اللغة العربية واسعة الأساليب، ولذلك فإن على الناظر في الأدلة أن يكون فقيهًا في اللغة العربية ضليعًا بأساليبها ومراميها.

من جهة أخرى لا يمكن فهم آية أو حديث إلا في ضوء السياق والعلاقات مع الأدلة الأخرى، والهدف من ذلك تكوين الصورة الكلية واللوحة المتكاملة، ولك أن تتصوّر أن النصوص الدينية كلوحة رائعة مؤلفة من أجزاء، وعليه فإن الجمال الذي ينبثق من هذه اللوحة لا يُدرَك إلا بالنظر إلى كل الأجزاء معًا، وإذا فُقِدَ جزءٌ من

الأجزاء مهما كان صغيرًا وأيًّا كان مكانه فإنّ المعنى التام والجمال الكُلِّي سيضيع بلا شكٍّ، وإن من الخطأ الكبير أن تؤخذ مثلًا الأحاديث الدائرة حول أخلاق الزوجة بمعزل عن الأحاديث الدائرة حول أخلاق الزوج، لأن كلا القسمين يكمِّلان بعضهما بعضًا.

إن الأحاديث التي تطالِبُ الزوجة بحسن العشرة وحسن التبعُّل يجب أن تُقرأ في ظل الأحاديث التي تذكِّر الزوج بأن الخيرية مقرونة بالإحسان إلى الزوجة، وفهمُ الأحاديث التي تطالب الأولاد بالبر مقرون بالأحاديث التي تطالب الآباء بحسن تربية الأولاد والإحسان إليهم. وهكذا تُرسَم اللوحة أمامنا جميلة وبراقة ومتكاملة.

* * * *



في هذا القسم سنقرأ مع بعضنا أربعين أصلًا من أصول الأخلاق الإسلام المتعلقة بالعائلة، وتحت كل أصل بضعة أحاديث تدل على هذا الأصل، والغرض من هذا أن نقرأ الأحاديث في صورة كلية، وننطلق منها للوصول إلى الأصل.

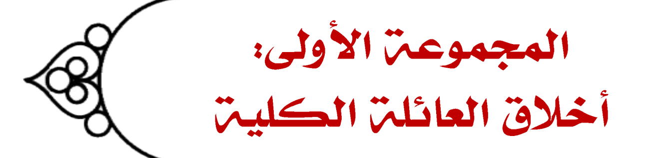
وقد ضممت هذه الأحاديث بعضها إلى بعضٍ لتكون في مجموعات متناسقة متّسقة، فجاءت موزّعة بين أخلاق العائلة الكُلّية، وأخلاق الوالدين، وأخلاق الزوجين الكُلّية، وأخلاق الزوج، وأخلاق الزوجة، والأخلاق مع الجيران والسبب في ذلك أن اتصال الجار بالجار في الحيّ أو البناء الواحدِ مظهرٌ من مظاهر امتداد علاقات العائلة، فهم يعيشون مع العائلة في نفس المكان الجغرافي، وبينهم علاقات ومصالح متعددة.

وقد نهجت في هذه المجموعات أني أذكر عددًا من الأحاديث المتعلقة بكل قسم إلى أصول، وعدد هذه الأصول في كل الأبواب أربعون أصلًا، والسرُّ في اختيار الرقم أربعين أن هذا الرقم يحمل بعدًا مهمًّا في الفكر الإسلامي، فهو رقم يشير إلى الكمال، وكثيرٌ من الكتب والأجزاء الحديثيّة في تاريخنا صُنِّفت على هذا الرقم ولعلّ أشهرها كتاب "الأربعون النووية"، وبكل تأكيد فإن الغاية ليست الأربعين، وإنما الغاية الإشارة إلى أن الكمال يبدأ من هذا الرقم.

أما في صلب الفصول فسيكون في بداية كل فصل قراءة مختصرة لمحتوى الأحاديث، وهذه القراءة بمثابة شرح يسيرٍ للأحاديث، ونسأل الله تعالى أن يُعينَنا على حفظها قولًا وفعلًا.

قمنا بتخريج مقتضب للأحاديث، والأحاديث التي اختيرت هنا من درجة المقبول عند علماء الحديث والمقصود بهذا المصطلح الحديث الصحيح والحسن والضعيف الذي لم يشتد ضعفه، وإن كان معظمها من الصحيح والحسن وندر أن يكون فيها الضعيف.





١. حقوق متبادلة وإحسان دائم.

سنرى في هذه الأحاديث التالية أنها تدور حول التأسيس الأخلاقي للعلاقات بين الأسرة، وعلى هذا فإنك -أيها القارئ الكريم- سترى أن الأساس الأول في العلاقة ينطلق من كون كل فرد مسؤولًا في مركزه الذي هو فيه، وكون الإنسان مسؤولًا يقتضي منه القيام بواجباته التي أنيطت به، أما الأساس الثاني في العلاقة بين الأسرة فهو الرفق، فالرفق أساس للعلاقة الصحية والصحيحة بين أفراد الأسرة الواحدة، والرفق مصطلح يشير إلى مجموعة من الأخلاق التي يأتي الإحسان والعفو والمرحمة على رأسها، فهو لغةً لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل. وقد عرفه بعضهم بقوله: "هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها"[١]

ومن الأسس التي سنراها في الأحاديث أن البر علاقة متبادلة، فبر الولد بوالده مرتبط ببر الوالد لولده، وهذا يحيل إلى ضرورة قيام كل فرد بواجباته حتى يتحقق البر والعلاقة الطيبة.

وقبل أن نقرأ الأحاديث معًا رأيت من المناسب أن نقرأ هذا المقطع المهم، والذي سيبيّن أن الإيمان يقتضي القيام بالأخلاق، فقد نقل البيهقي في شعب الإيمان

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٧٠.

بسنده عن معاذ بن أسد أنه قال: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ، يَقُولُ: "أَصْلُ الْإِيمَانِ عِنْدَنَا وَفَرْعُهُ وَدَاخِلَهُ وَخَارِجَهُ بَعْدَ الشَّهَادَةِ بِالتَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الشَّهَادَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْبَلَاغِ، وَبَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، **صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ الْخِيَانَةِ، وَوَفَاءٌ بِالْعَهْدِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَالنَّصِيحَةُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ**". قَالَ مُعَاذٌ: قُلْتُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مِنْ رَأْيِكَ تَقُولُهُ أَوْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: "لَا، **بَلْ سَمِعْنَاهُ وَتَعَلَّمْنَاهُ مِنْ أَصْحَابِنَا**، وَلَوْ لَمْ أَجِدْهُ عَنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالْفَضْلِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ"، قَالَ مُعَاذٌ: "وَكَانَتْ سَبْعًا فَنَسِيتُ وَاحِدَةً" ثم علّق البيهقي قائلا: "وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا يُقَلَّدُ الْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْأَحْكَامِ، وَمَا عَلَيْهِ فِي مُرَاعَاةِ حُقُوقِ نَفْسِهِ، وَحُقُوقِ زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ، وَحُقُوقِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِالْعَوْنِ وَالنَّصِيحَةِ ابْتِدَاءً وَأَدَاءً، وَالنُّصْحِ إِذَا اسْتَشَارَهُ فِي أُمُورِهِ وَاسْتَوْدَعَهُ شَيْئًا، أَوْ نُصِّبَ وَلِيًّا فِي مَالِ يَتِيمٍ أَوْ مَحْجُورٌ عَلَيْهِ، وَحُقُوقِ مَمَالِيكِهِ أَوْ مَنْ يَمْلِكُهُ إِنْ كَانَ هُوَ مَمْلُوكًا، وَمَا تَقَلَّدَ الْوَالِي مِنْ حُقُوقِ الرَّعَايَا، وَمَا تَقَلَّدَ الرَّعَايَا مِنْ حُقُوقِ الْوَالِي، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ".

وهذا النص مهمٌّ في فهم أن **الإيمان** يقتضي من الإنسان **القيام بجميع الواجبات الأخلاقية**، وأن الإيمان مُستنَد الأخلاق وأساسٌ لإنشائها.

أما الآن فهيا لنقرأ الأحاديث:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُكم راعٍ وكُلُكم مَسْؤُول عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وهو مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بيتِهِ وهو مَسْؤُول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وعبدُ الرجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سيدهِ وهو مَسْؤُول عنه، ألا كُلكم راع وكُلكم مَسْؤُول عن رعيته»(١).

---

(١) صحيح البخاري، ٢٤٠٩، صحيح مسلم، ١٨٢٩.

- عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضَيَّع حتى يسأل الرجل على أهل بيته»[١].

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الوالد مسؤول عن الولد، وإن الولد مسؤول عن الوالد، يعني في الأدب والبر.

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي عليه الصلاة والسلام: إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا، أدخل عليهم الرفق[٢].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) صحيح ابن حبان، ٤٤٩٢.

(٢) مسند أحمد ٢٤٤٢٧

المجموعة الثانية: في أن أخلاق الوالدين تقوم على حسن التربية، وحسن الإنفاق والرحمة والعدل بين الأولاد مع زيادة اهتمام بالبنات

في هذا القسم سنقرأ مع بعضنا أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام المتعلّقة بأخلاق الوالدين مع أولادهم وسنرى التركيز على عدة أمور نجملها هنا:

- إنّ الرحمة بالأولاد سبب للوصول إلى رحمة الله، وإن من رحمة الأولاد إظهار الفرح لقدومهم واللعب معهم.

- من أخلاق الإسلام التي دعا إليها إظهار الاهتمام بالبنات وعدم تفضيل الذكور عليهم، والاهتمام بالبنات يكون بحُبِّهِنَّ وحسن الإنفاق، عليهن ثم اختيار زوج كريم لهن. وبيّن أن حسن الاهتمام بهن سبب من أسباب الوصول إلى الجنة.

- من الأُسس الأخلاقيّة في العلاقة مع الأولاد حسن التربية وحسن التعليم، ويجب العلم بأن التربية والأبوّة والأمومة لا تكون بدفع النقود لهم أو إنفاقها عليهم وإغداق ما يريدون من الأشياء بين أيديهم، بل إن الأساس في هذه الموضوع هو إكساب الأولاد معاني التربية وغرس القيم الصحيحة القائمة على معرفة الله ورسوله. وهذا الأمر له أبعاد مهمةٌ في عصرنا، حيث ينشغل كثير من الآباء والأمهات بالأعمال وكثرتها، ويكتفون بالإنفاق المادي على أولادهم ظنًا أن هذا الأمر كاف، غير أن نصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن نعيرها آذانا واعية فنربي أولادنا بالتربية الصحيحة.

- من حقوق الولد الأخلاقية أن يكون له اسم جميل، خاصة ذاك الذي يعبِّر عن قيمة من قيم الإسلام، فالاسم الجميل يعطي انطباعا جميلًا، وقد كان من عادة النبي عليه الصلاة والسلام أن يغير الأسماء القبيحة إلى أخرى جميلة.

- العدل بين الأولاد نقطة مهم في النظام الأخلاقي، لأن الظلم الحادث بين الأولاد يؤدي إلى نشوء شخصيات غير سويَّةٍ.

- سينبُّه النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الأحاديث إلى ضرورة عدم الكذب على الأولاد، وهذا مع الأسف يحدث كثيرًا، بأن يعد الأب أو الأم الولد بشيءٍ ما إذا فعل شيئًا مقابله، ثم نراه يفعله ولا يعطونه هذا الشيء.

- من الأمور الأخلاقية المهمة، عدم الدعاء على الأولاد وهذا الأمر في مجتمعاتنا منتشرٌ جدًّا، ولهذا تأثير كبير في نفسية الولد، حيث يكبر الولد غير سويٍّ، كارهًا لأبيه وأمه.

والآن هيا بنا إلى قراءة هذه الأحاديث معًا:

٢. في حب الأولاد والرحمة بهم وأن الرحمة بهم سبب لرحمة الله.

- عن البراء رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ رضي الله عنه عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهم إني أُحِبُه فَأَحِبَّه»[١] .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ أَتى النَّبيَّ ﷺ رَجلٌ ومعهُ صَبيٌّ فَجعلَ يَضُمّه إِليه فَقال النَّبيُّ ﷺ: «أَترحَمهُ؟» قَالَ: نَعم. قَالَ: «فَاللهُ أَرحَمُ بِك، مِنكَ بِه وهُو أرحَم الرَّاحمين»[٢].

---

(١) البخاري، ٣٧٤٩.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، ٣٧٧.

٣. **في حب البنات والإحسان إليهن وعدم تفضيل الذكور عليهن.**

- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ وُلِدَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا – يَعْنِي الذُّكُورَ – أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ»(١).

- عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا»(٢).

- عن عقبة بن عامر رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِن مُسلم تُدرِكُه ابْنَتَانِ فَيُحْسِنُ صحبتَهُما إلا أدخلتاه الجنة»(٤).

٤. **في الإحسان إلى الأولاد بحسن تسميتهم.**

- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ»(٥).

٥. **في الإحسان إليهم بالتربية الفاضلة.**

- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] قَالَ: «عَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمُ الْخَيْرَ»(٦).

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، ٨٣٢٦.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، ٨٣٣٤.

(٣) ابن ماجه، ٣٦٦٩

(٤) البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، وهو ضعيف.

(٥) أبو داود، ٤٩٤٨، وأحمد ٢١٦٩٣ وهو ضعيف لانقطاع السند.

(٦) البيهقي، شعب الإيمان، ٨٣٣١

- النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا نَحِلَ وَالِدٌ وَلَدًا نُحْلًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»[١].

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا حَقَّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ، فَمَا حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ؟ قَالَ: «أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُحْسِنَ أَدَبَهُ»[٢].

٦. في الإحسان إلى الولد بتزويجه

- عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَلْيُحْسِنِ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ، فَإِذَا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْمًا، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ»[٣].

٧. في عدم الدعاء عليهم

- عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «لا تَدْعُوا على أنفُسِكُم ولا تَدْعُوا على أَولادِكُم ولا تَدْعُوا على أموالِكُم لا توافقوا من الله ساعةً يُسأَل فيها عطاءً فيستجيبَ لكُم»[٤].

٨. في العدل بينهم

- عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ، فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا»[٥].

---

(١) الترمذي، ١٩٥٢

(٢) البيهقي في شعب الإيمان، ٨٢٩١.

(٣) البيهقي، شعب الإيمان، ٨٢٢٩

(٤) مسلم، ٣٠٠٩.

(٥) البيهقي، شعب الإيمان، ٨٣٢٧.

- عنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: «أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي»، ثُمَّ قَالَ: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا إِذًا» [١]

٩. في حرمة الكذب على الأولاد

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لَا يَصلحُ الكَذبُ فِي جِدٍ وَلَا هَزلٍ، وَلَا أَن يَعد أَحدُكُم ولَدَهُ شَيْئًا ثُم لَا يُنجِزُ لَهُ»[٢].

- عن عبد الله بن عامر أنه قال دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد بيننا فقالت ها، تعال أعطيك. فقال لها رسول الله ﷺ وما أردت أن تعطيه؟ قالت أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ أما إنك لو لم تعطه شيئا كُتِبَتْ عليكِ كذبة)[٣]

١٠. في حسن معاملة الرسول الأب لأولاده وبناته

- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ: قَبَّل رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسٌ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرحَم لَا يُرحَم»[٤].

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَرحمَ النَّاس بالعِيال،

---

(١) صحيح مسلم، ١٦٢٣

(٢) الأدب المفرد، ٣٨٧

(٣) أبو داوود، ٤٩٩١.

(٤) البخاري، ٥٩٩٧.

وكَان لَه ابنٌ مُستَرضَعٌ فِي نَاحِية المَدينةِ وكَان ظِئرهُ قَيْنًا وكُنا نَأتِيه، وقَد دُخنَ البَيتُ بِإِذْخِرٍ فَيقَبِّلهُ ويَشُمُّه».[1]

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ حَدِيثًا وَكَلَامًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ. وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَرَحَّبَ بِهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فرحَّبَت بِهِ وَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَرَضِه الذي تُوفِّيَ فرحَّبَ بِهَا وقبَّلَها»[2].

١١. الرسول الأب يلاعب أولاده

- عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يدلع لسانه للحسين، فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش إليه، فقال له عيينة بن حصن بن بدر: ألا أرى تصنع هذا بهذا، والله ليكون لي الابن قد خرج وجهه وما قبلته قط، فقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحَم»[3].

- عن أنس بن مالك قال: «كان النبي ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة وهو يقول يا زوينب يا زوينب مرارًا»[4].

- عن عبد الله بن الحارث قال: «كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس ثم يقول من سبق إلى فله كذا وكذا قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم»[5].

---

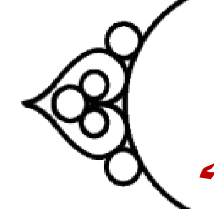
(١) البخاري، الأدب المفرد، ٣٩٧.

(٢) أبو داوود، ٥٢٧١.

(٣) ابن حبان، ٦٩٧٥

(٤) الأحاديث المختارة، ١٣٧٧.

(٥) أحمد، ١٨٣٦.



المجموعة الثالثة:
أخلاق الزوجين الكلية قائمة على تقوى الله والمودة والرحمة والحث على عبادة الله

- إن أخلاق الزوجين قائمة على مراقبة كل من الزوج والزوجة الله في علاقاته مع الآخر، ولكل من الزوجين حق على الآخر، وعندما يقوم الآخر بحق الطرف الثاني فإن هذا يُعَدُّ أول خطوة لإنشاء علاقة سليمة بين الطرفين.

- من الأسس المهمة الأخلاقية: حَثُّ كل طرف الطرف الآخر على عبادة الله تعالى، فأداء الزوجين العبادة معا سبب مهم لإنشاء علاقة سوية وطائعة لله تعالى.

والآن هيا إلى قراءة الأحاديث المتعلّقة بهذا الجانب:

١٢. حقوق متبادلة أساسها تقوى الله.

- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: «حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَذَكَرَ فِي الحَدِيثِ قِصَّةً، فَقَالَ: ألا إنَّ لكُم على نسائِكُم حقًّا ولنسائِكُم عليكُم حقًّا»(١).

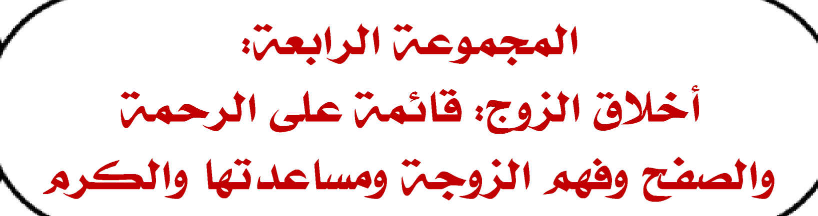
١٣. في حث بعضهما على العبادة

- عن أبي هريرة رضي الله عنهُ قال: «رحِمَ الله رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فصلَّى وأيْقَظَ امرأَتهُ، فإنْ أَبَتْ نَضحَ في وجْهِهَا الماءَ، رَحِمَ اللهُ امَرَأَةً قَامت مِن اللَّيْلِ فَصلَّتْ، وأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فإن أَبى نَضَحَتْ فِي وجْهِهِ الماءَ»(٢).

---

(١) الترمذي، ١١٦٣

(٢) أبو داوود، ١٣٠٨



في المجموعة السابقة أشرنا إلى أن أخلاق الزوجين قائمة على مراعاة كل طرف لحقوق الطرف الآخر، والآن في هذا القسم فستتكلم عن حقوق الزوجة تجاه زوجها، والمقصد هنا بمفهوم الحقوق المعنى الأخلاقي الذي يقتضيه إيماننا بالله تعالى، وسنلاحظ أن هذه الأحاديث:

- تؤسس لارتباط خيرية الإنسان بكونه طيبًا مع زوجته، فمن معايير معرفة أن رجلًا ما خيِّرٌ كونه طيب الأخلاق مع زوجته.

- هذه الأحاديث تذكِّر الزوج بأن علاقته مع زوجته ليست علاقة جنسيّةً بحتةً تهدف إلى قضاء الوطر فحسب، وإنما هي علاقة مركزها تقوى الله، وتقوى الله مفهوم شامل يحيل إلى علاقة المؤمن بالله في كل أحواله.

- هذه الأحاديث تشرح للزوج جانبًا مهمًا من جوانب نفسية المرأة الحساسة، وعلى الزوج الذي يبتغي تقوى الله أن يفهم هذا البعد الدقيق والغامض، فيحسن تعامله مع زوجته ويبذل جهده ليتفهّمها، خاصة في أوقاتها الخاصّة.

- من أخلاق الزوج التي ركّزت عليها الأحاديث، عدمُ ضرب الزوجة ظلمًا؛ حيث سنرى أن الأحاديث تصف ضارب الزوجة ظلمًا بأنه مذمومٌ أو أن صفة الزوج الخيِّر قد انتزعت منه، وعندما تنتزع منه هذه الصفة فلن يكون من الأخيار عند الله.

- كذلك ركزت الأحاديث على ضرورة حسن الإنفاق على الزوجة باعتبار أن الإنفاق على الزوجة نوع من أنواع الصدقة التي يتقرَّبُ بها الإنسان إلى الله.

- دعت الأحاديث إلى تذكير الزوج بعدم كره الزوجة لخصلة فيها، باعتبار أن الإنسان غير كامل، فإن وُجِدَ في أي إنسان خُلُق سيّئٌ ما فلا يعني أنه سيِّئٌ بالكلية، بل ثمة أخلاق جيدة فيه.

- أخيرًا ستعرض الأحاديث جانبا من جوانب حياة الرسول الزوج وكيفيّة تعامله مع زوجاته، وهذه التصرُّفات كلها من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام التي أُمِرْنا باتباعها، فقد كان من سنته مساعدة الزوجات، وحسن المعاشرة معهنّ باللعب، وتفهُّم نفسيّة كلّ واحدة منهنّ، وتقديم الدعم النفسي لهنّ.

١٤. في أن من معايير الخيرية، حسن التعامل مع الزوجة والعائلة.

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَإِنِّي خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[١].

- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ»[٢].

١٥. تذكير الزوج بأن الزواج أسس على كلمة الله وتقواه.

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ بِعَرَفَاتَ: «اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ»[٣].

---

(١) الترمذي، ٣٨٩٥

(٢) الترمذي، ٢٦١٢.

(٣) صحيح ابن خزيمة/ ٢٨٠٩.

١٦. في ضرورة فهم حساسية المرأة.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ»[(١)].

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ غُلَامٌ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالقَوَارِيرِ»[(٢)].

١٧. حسن الإنفاق

- عن المقدام أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أطعَمْتَ نَفْسَك فَهُوَ صدقةٌ وَمَا أطعمْتَ ولدك وزوجتَك وخادمك فهو صدقةٌ»[(٣)].

- عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار أنفقه عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقَهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»[(٤)].

- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ له: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى ما تجعل في فم امرأتك»[(٥)].

---

(١) البخاري، ٥١٨٤

(٢) البخاري، ٦١٦١.

(٣) البخاري، الأدب المفرد، ١٩٥.

(٤) البخاري الأدب المفرد ٧٤٨

(٥) البخاري، ٥٦

١٨. في عدم جواز الكره

- قال ﷺ: «لا يفرك -أي لا يبغض- مؤمنٌ مؤمنة إن كرِهَ منها خُلُقًا رضي منها آخر »[١].

١٩. في حث الزوج زوجته على العبادة

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ فَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبا لَيْلَتَئِذٍ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»[٢].

٢٠. في ذم ضرب الزوجة

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ»[٣].

- عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلتُ: «يا رسولَ الله ما حقُّ نسائنا، وما نأتي منها، وما نَذَرُ؟ قال: ائتِ حَرْثَك أَنَّى شئتَ، وأطعمها إِذا طَعِمْتَ، واكسُها إِذا اكتسيتَ، ولا تُقبِّح الوجهَ، ولا تَضْرِبْ»[٤].

- إِياس بن عبد الله بن أبي ذباب -رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَضْرِبوا إِماءَ الله، فجاء عمرُ إِلى رسولِ الله ﷺ، فقال: ذَئِرنَ النساءُ على أزواجهن، فرَخَّصَ في ضربهن، فأطاف بآلِ رسول الله ﷺ نساء كثير يَشْكُون أَزواجهنّ، فقال

(١) مسلم، ١٤٦٩

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، ٢٨١٩.

(٣) البخاري، ٥٢٠٤.

(٤) أبو داود/ ٢١٤٣

رسولُ الله ﷺ: لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخيارِكم»[1].

٢١. الكذب على المرأة ليس جائزا في المطلق.

- الكذب على المرأة آخر وسيلة لإرضائها وليس أول مرتبة، فبعد أن يعدم كل الوسائل يجوز له وهذا أمر إرشاد وليس أمر وجوب. والدليل أن رجلًا قال لرسولِ الله ﷺ: «أكْذِبُ امرأتي؟ فقال رسولُ الله ﷺ: لا خير في الكذب، فقال الرجل: يا رسول الله، أفأعِدُها وأقول لها؟ فقال رسولُ الله ﷺ: لا جُنَاحَ عليك»[2].

٢٢. في الرسول الزوج: محبته لزوجاته وحسن وفائه لهن

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غِرْتُ علَى امْرَأَةٍ للنَّبيِّ ﷺ، ما غِرْتُ علَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قَبْلَ أنْ يَتَزَوَّجَنِي؛ لِما كُنْتُ أسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وأَمَرَهُ اللَّهُ أنْ يُبَشِّرَهَا ببَيْتٍ مِن قَصَبٍ، وإنْ كانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فيُهْدِي في خَلَائِلِهَا منها ما يَسَعُهُنَّ»[3].

- قال ﷺ لعائشة في حديث أم زرع الطويل والذي رواه البخاري: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» أي أنا لك كأبي زرع في الوفاء والمحبة فقالت عائشة: بأبي وأمي لأنت خير من أبي زرع لأم زرع[4].

---

(١) أبو داود ٢١٤٦.

(٢) موطأ مالك، ١٥

(٣) البخاري: ٣٨١٦.

(٤) البخاري، ٥٨١٩

٢٣. في الرسول الزوج: عنايته بزوجاته في أوقاتهن الخاصة

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ»[١].

٢٤. الرسول الزوج: حسن استماع النبي لزوجاته

- كان النبي ﷺ يستمع إلى حديث عائشة رضي الله عنها وهي تذكر له الحديث المشهور بحديث أم زرع، وهو عبارة عن قصة طويلة؛ حيث اجتمعت إحدى عشرة امرأة، يحكين لبعضهن عن أخلاق أزواجهن الحميدة والمذمومة، فبقي النبي عليه الصلاة والسلام مصغيا مستمعا لحديث عائشة رضي الله عنها.

٢٥. الرسول الزوج: ملاعبته لهن وإذنه لهن بقضاء أوقات في الراحة والتسلية

- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ" فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ" فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: "هَذِهِ بِتِلْكَ"»[٢].

- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا علَى بَابِ حُجْرَتي والحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ في المَسْجِدِ، ورَسولُ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أنْظُرُ إلى لَعِبِهِمْ»[٣].

---

(١) مسلم/ ٣٠٠

(٢) أحمد، ٢٦٢٧٧

(٣) البخاري، ٤٥٤

٢٦. الرسول الزوج: عدم ذمه شيئًا ممّا حضرته زوجاته من الطعام

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «ما عاب النبي ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه»[١].

٢٧. الرسول الزوج: في مساعدته زوجاته

- سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»[٢].

- سئلت عائشة رضي الله عنها : «ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم».[٣]

٢٨. الرسول الزوج: يشتكي لزوجته ويستشيرها

- عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَان أنهما أشارا في حديث طويل إلى أن النبي ﷺ استشار زوجاته في أدق الأمور ومن ذلك استشارته ﷺ لأم سلمة في صلح الحديبية لما كتب رسول الله ﷺ القضية بينه وبين مشركي قريش، وذلك بالحديبية عام الحديبية، «قال لأصحابه: قوموا فانحروا واحلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر ذلك لها، فقالت أم سلمة: يا نبي الله اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حلاقك فتحلق، فقام فخرج فلم يكلم منهم أحدا، حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غَمًّا»[٤].

---

(١) البخاري، ٣٥٦٣

(٢) البخاري، ٦٧٦

(٣) أحمد، ٢٤٩٠٣

(٤) البخاري، ٢٧٣١.

٢٩. الرسول الزوج: ينادي زوجاتهِ بالأوصافِ تحبُّبًا إليهن

- قال ﷺ لعائشة: «يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام. فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ».[1]

- دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فَقَالَ لِي: يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ فَقُلْتُ: «نَعَمْ، فَقَامَ بِالْبَابِ وَجِئْتُهُ فَوَضَعْتُ ذَقَنِي عَلَى عَاتِقِهُ فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ» قَالَتْ: «وَمِنْ قَوْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَبَا الْقَاسِمِ طَيِّبًا» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَسْبُكِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَعْجَلْ، فَقَامَ لِي ثُمَّ قَالَ: «حَسْبُكِ» فَقُلْتُ: «لَا تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ»[2]

٣٠. الرسول الزوج: صبره عليهن وتفهمه لغضبهن

- عن عمر رضي الله عنه في حديث طويل: «فو اللهِ إنَّ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ لَيُراجِعْنُه، وتهجُرُه إحداهنَّ اليومَ إلى اللَّيلِ»[3].

- عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما –: قال: «استأْذَن أبو بكر على رسولِ الله ﷺ، فسمعَ صوتَ عائشةَ عاليًا، فأذن له رسولُ الله ﷺ، فلما دخلَ قال لعائشةَ: لا أسمعُكِ ترفعين صوتكِ على رسولِ الله ﷺ؟ ورفع يده ليَلْطِمَها، فحجزه رسولُ الله ﷺ، وخرج أبو بكر مُغْضَبًا، فقال رسولُ الله ﷺ: كيف رأيتِني أنقذتُكِ من الرجل؟ فمكثَ أبو بكر أيامًا، ثم استأْذن، فوجدهما قد اصطلحا، فقال: أدْخِلاني في سِلْمِكما كما أدخلتماني في حَرْبِكما، فقال رسولُ الله ﷺ: قد فَعَلنَا، [قد فعلنا]»[4].

---

(١) البخاري، ٣٧٦٨

(٢) سنن النسائي الكبرى، ٨٩٠٢.

(٣) البخاري، ٢٤٦٨

(٤) سنن أبو داود، ٤٩٩٩.

المجموعة الخامسة:
في أن أخلاق الزوجة قائمة على الرحمة وحسن التبعل لزوجها وإطاعتها له فيما لا معصية فيه

وبعد أن شرحنا واجبات الزوج الأخلاقية تجاه زوجته، سنتكلم الآن عن واجبات الزوجة تجاه زوجها، وكما قلنا في بداية كتابنا هذا، فإن حقوق الزوج وحقوق الزوج تجاه بعضهما لا تُفهَم فهما كاملا إلا إذا تدبرنا كل حق في ضوء علاقاته مع الحقوق الأخرى، وينبغي الإشارة إلى أن هذه الأحاديث تتعلق بخلقين مهمين من أخلاق الزوجة، وهما: رعاية الأولاد ورعاية الأزواج، وتبيِّن أن هذين الخلقين عمادٌ أصيلٌ في مسيرة العائلة والحياة الزوجية.

- تحذر الأحاديث الزوجة من سوء العشرة، وسوء العشرة يعني عدم التزام المرأة بالودّ وحسن التبعُّل مع زوجها وعصيانه في الأمور التي تهم حياتهم المشتركة.

٣١. خير خصال الزوجات: رحمة بالأطفال ورعاية الأزواج

- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ: أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»[١].

- عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: «أيُّ النساءِ خَيْر؟ قال: التي تَسُرُّه إذا نَظَرَ، وتطيعُه إذا أَمَرَ، ولا تخالِفُهُ في نفسها، ولا مالها بما يَكرهُ»[٢].

---

(١) البخاري، ٣٤٣٤

(٢) النسائي، ٣٢٣١

٣٢. في التحذير من سوء العشرة مع العائلة

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: «جاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا وَأُخْتٌ تَقُودُهُ، فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَمَا سَأَلَتْهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا انْطَلَقَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "حَامِلَاتٌ وَالِدَاتٌ رَحِيمَاتٌ، لَوْلَا مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَتْ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ»(١).

- عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلَاةٌ، وَلَا تَصْعَدُ لَهُمْ حَسَنَةٌ: الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ فَيَضَعَ يَدَهُ فِي أَيْدِيهِمْ، وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، وَالسَّكْرَانُ حَتَّى يَصْحُوَ»(٢).

٣٣. طاعة الزوج فيما لا معصية له من عبادات المرأة.

- عن ابْن عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتِ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا جَزَاءُ غَزْوَةِ الْمَرْأَةِ؟ قَالَ: «طَاعَةُ الزَّوْجِ، وَاعْتِرَافٌ بِحَقِّهِ»(٣).

* * * *

(١) أحمد، ٢٢٢١٩

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، ٥٢٠٢

(٣) البيهقي، شعب الإيمان، ٨٣٥٤



المجموعة السادسة: في أن أخلاق الأولاد: قائمة على البر والوفاء والإحسان للوالدين ولأصدقائهم

بعد أن رسمنا -اعتمادًا على الأحاديث- النظام الأخلاقي التي يجب أن يكون بين الزوجين، ننتقل إلى النظام الأخلاقي الذي يجب أن يكون قائمًا بين الأبوين وبين الأولاد، ولقد بينا سابقًا أخلاقيات الوالدين تجاه أطفالهم، أما هنا فسنرسم أخلاقيات الأولاد تجاه آبائهم، وسنرى أن الأحاديث تركز على أن:

- البر هو الخلق الأول الذي يجب أن يتحلى به الأولاد، والبر هو تعبير عن القيام بفعل الخير، وبر الوالدين يأتي في الدرجات الأولى من سلم الأعمال المحببة عند الله؛ حيث إنه قد يُفضَّل على الجهاد في سبيل الله إن كان الوالدين بحاجة إلى الأولاد. وهنا نتذكر قولنا في المقدمة: إن الأولويات تختلف تبعًا لاختلاف الوقت والحاجة.

- تشير الأحاديث إلى أن بر الوالدين يسري وينتقل إلى بر أقارب الوالدين وأصدقائهما ولو بعد الوفاة، وهذه النقطة مهمة وتشير إلى اهتمام الأخلاق الإسلامية بأن يكون البر شاملًا قدر الإمكان.

٣٤. بر الوالدين: في قائمة أعمال الخير.

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ

إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1].

- عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جده «معاوية بن حيدة» رضي الله عنه قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قُلْتُ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قُلْتُ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قُلْتُ مَنْ أَبَرُّ؟ قال: «أباك ثم الأقرب فالأقرب»[2].

- عن المقدام بن معدي كرب عن النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ يوصِيكم بِأُمَّهَاتِكُمْ ثُمَّ يوصِيكم بِأُمَّهَاتِكُمْ ثُمَّ يوصِيكم بِآبَائِكُمْ ثُمَّ يوصِيكم بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ»[3].

- قال: أقبل رجل إلى رسول الله – ﷺ – فقال: «أبَايِعُكَ على الهجرة والجهاد، أبتَغِي الأجرَ من الله، قال: فهل من والديك أحدٌ حَيٌّ؟ قال: نعم، بل كلاهما حَيٌّ، قال: فتبْتَغِي الأجرَ من الله؟ قال: نعم! قال: فارجع إلى وَالِدَيْكَ فأحْسِنْ صُحْبَتَهُما»[4].

٣٥. بر أقارب الوالدين كبرِّ الوالدين.

- عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنَّ رجلًا أتى النبي –ﷺ– فقال: «يا رسول الله، إني أصبتُ ذنبًا عظيمًا، فهل ليَ من توبة؟ فقال: هَلْ لَكَ مِن أمٍّ؟ قال: لا، قال: فهل لك من خَالةٍ؟ قال: نعم، قال: فَبِرَّها»[5].

---

(١) البخاري، ٥٢٧

(٢) البخاري، الأدب المفرد، ٣

(٣) ابن ماجه، ٣٦٦١

(٤) مسلم، ٦.

(٥) الترمذي، ١٩٠٤

- عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي – رضي الله عنه – قال: «بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله – ﷺ – إذ جاءه رجُل من بني سَلِمة، فقال: يا رسول الله: هل بَقِيَ من برِّ أبَوَيَّ شَيءٌ أبَرَّهُما بعد موتهما؟ فقال: نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفار لهما، وإنْفَاذُ عهدهما من بعدهما، وصِلَة الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقهما»[1].

٣٦. احترام خصوصية الآخرين بطلب الإذن قبل الدخول.

- عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى أُمِّي فَدَخَلَ فَاتَّبَعْتُهُ فَالْتَفَتَ فَدَفَعَ في صدري حتى أقعدني على استي ثم قال: أتدخل بغير إذن؟.

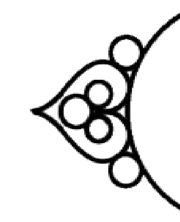
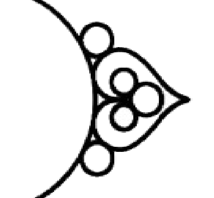
- عن جابر رضي الله عنه قَالَ: يَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ عَلَى وَلَدِهِ وَأُمِّهِ وَإِنْ كانت عجوزًا وأخيه وأخته وأبيه.

- عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُخْتِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) أبو داود، ٥١٤٢

المجموعة السابعة: في أن أخلاق الجار قائمة على الكرم والمساعدة وحفظ الحرمات

- في هذه الأحاديث سنرى اهتمام النظام الأخلاقي في الإسلام بإنشاء علاقات طيبة قائمة على فعل الخير والاحترام بين الجيران.

- تركّز هذه الأحاديث على أمرين: الإهداء الذي يشير إلى المبادرة بفعل الخير؛ إذ سيحثّ النبي عليه الصلاة والسلام على الإهداء المتبادل بين الجيران لإذهاب الضغائن وتأسيس المحبة، والأمر الثاني التحذير من التعدِّي على حرمات الجار حتى يعمّ الأمن في المحلّة، وبالتالي في المدينة بشكل عام، ففعل الشرِّ مع الجار له ذنبٌ أكبر بسبب موضع الجار القريب من العائلة، وما سيفتحُ هذا الشر من شرور أكثر على القاطنين.

٣٧. من معايير الخيرية، فعل الخير للجيران

- عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأصحاب عند الله: خَيْرُهم لصاحبه، وخَيْرُ الجيران عند الله: خيرُهم لجاره»[(١)].

٣٨. الجار كالقريب في حسن المعاملة ووجوب البر له.

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظننت أنه سيورثه»[(٢)].

---

(١) الترمذي، ١٩٤٤

(٢) البخاري، ٦٠١٥

٣٩. الإهداء إلى الجار

- عن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أبا ذَر، إِذا طَبَخْتَ مَرَقَة فَأَكثِرْ مَاءَها، وتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ منها».[١]

- أبو هريرة –رضي الله عنه – أن النبيَّ –ﷺ– قال: «تهادَوْا، فإن الهديَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، ولا تَحْقِرَنّ جارةٌ لجارتها ولو شِقَّ فِرسِن شاة»[٢].

٤٠. حرمة التعدي على حرمات الجار

- عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[٣].

- عن أبي شريح – رضي الله عنه –: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «واللهِ لا يُؤْمِن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمَن جارُه بَوائِقَهُ»[٤].

- أبو هريرة – رضي الله عنه –: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا يمنعْ أحدُكم جَارَهُ أن يَغْرِزَ خشبة في جداره»[٥].

---

(١) مسلم، ٢٦٢٥

(٢) الترمذي، ٢١٣٠

(٣) البخاري، ٤٤٧٧

(٤) البخاري، ٦٠٦١

(٥) البخاري، ٢٤٦٣.



يقول الإمام العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله: "إن المقصد العام من التشريع حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان"[1]، وعليه فإن الأسرة، تكتسب أهمية من كونها أولى مؤسسات عمران الإنسان، ولذلك فإن النظام الأخلاقي للأسرة مهم، لأن رابطة الأسرة قائمة على أخلاق الإحسان المتبادل وليس الحقوق فحسب.

والآن، بعد هذه الجولة في سنة المصطفى ﷺ وهديه الأخلاقيّ في العائلة، نصل إلى أن الإسلام اهتم بالعائلة أصلاً ركينًا في منظومته، كونها من أهم المؤسسات التعليمية والتربوية، وذلك من خلال وضع نظام أخلاقي كلّيٍّ لها.

هذا النظام الأخلاقي لن يؤتي أكله وفائدته إلا بتطبيقه بشكل متكاملٍ، وكلما نقص درجة تطبيقه قلّ مردوده الأخلاقي والمعنويّ، ومن ثَمَّ فإننا يجب أن ننظر لأصول أخلاق العائلة على أنها شجرة متشابكة الأغصان متصلة الجذور، فلا يمكن أن نطالب الزوج بواجباته الأخلاقية قبل مطالبة الزوجة بواجباتها، فالإحسان المتبادل والتسابق في فعل الخيرات بين أفراد الأسرة والتراحم بينهم أساس لهذه الرابطة.

أهمية النظام الأخلاقي الأسري الذي رأيناه في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ينبع من أهمية الوظيفة التي كلفت بها الأسرة، فالأسرة هي الخطوة الأولى في العمران الإنساني، وهي تحتل مكانة مهمة في مقاصد التشريع الإسلامي، فهي

(١) الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ٢/ ١٢٢

ضرورية لحفظ الإنسان ووجوده بيولوجيًّا، وتنشئته دينيًّا، ودفعه لريادة المجتمع الإنسانيّ عمرانيًّا.

وعليه فإن الأسرة رابطة تتجاوز الروابط البيولوجية إلى الروابط المعنوية، فالزواج يتضمّن وسيلة لقضاء الشهوة الطبيعية لكن ضمن أطر وحدودٍ أخلاقية واضحةٍ وصارمة، وبفضل هذه الأطر والحدود تتحول الحاجات البيولوجية إلى عبادة كما بين النبي عليه الصلاة والسلام حين قال: «وفي بُضْع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وِزْرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ»[1]. وبهذا تتجاوز الأسرة حدودها الطبيعية البيولوجية لتصبح مؤسسة قائمة على رابطة متشابكة التفاصيل، فهي رابطة الألفة والمودة والتراحم ونواة الجماعة والعمران، ومن هنا نفهم اهتمام الإسلام باستمرار هذه المؤسسة عبر وضع خطوات لإصلاح العلاقات بين الزوجين.

وهذه الرابطة مستمرة حتى لو توفي الوالدان، فالمسلم يدعو الله قائلًا: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، كذلك فالوالدان في التصور الإسلامي للأسرة لا يرتبطان لهدف الإنجاب المحض بل لتكوين أسرة من الأولاد الصالحين ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فدعاء الولد لوالديه اعتراف منه بما قدماه، ودعاء الوالدين بأن يرزقهما الله ولدًا صالحًا يشير إلى إدراكهما لوظيفتهما في تربية أولادهم.

(١) أخرجه مسلم عن أبي ذر، ١٠٠٦.

النظام الأخلاقي للعائلة المسلمة، يعامل الإنسان في العائلة بالنظر إلى جميع جوانبه المادية والمعنوية، فكما يجب على الوالدين الاهتمام بالإنفاق عليه فإنه يجب عليهما الاهتمام بالأسرة معرفيًّا وأخلاقيًّا وجماليًّا؛ حيث يهتم الأب والأم بتعليم طفلهما الدين والأخلاق وتحسين اسمه حتى ينشئ سويًّا.

مسألة الأخلاق بين الزوج والزوجة حازت أهمية كبرى في النظام الأخلاقي للأسرة، لكن من الخطأ الكبير قراءة واجبات الزوج أو الزوجة بمعزل عن أخلاق الطرف الآخر، فلكي تفهم التكامل يجب أن تنظر إلى الصورة الكلية في وقت واحد.

قدم الرسول عليه الصلاة والسلام في تصرفاته أنموذجًا متساميًا عاليَ الجمال في الحب والوفاء والتفهم، ولذلك فإن سنته العملية زوجًا وأبًا، المثال الأجدى اتباعه لما يجب أن يكون عليه الأزواج.

في الختام، تبقى الأسرة مدرسة أولية للإنسان ينطلق من خلالها إلى حياته. وفي هذه الفترة العصيبة من حياتنا نرى أن الأسرة تتعرض لإعادة تعريف تنقص من وظيفتها الأخلاقية وتجعلها مجرد معمل بيولوجي لـ"إنتاج" أفراد ضائعي القيمة والهويّة، فتفقد الأم وظيفتها كإنسانة يتجلّى الله من خلالها برحمته، ويفقد الأب فيه معناه كرجل يتجلى الله من خلاله بحكمته، ويغدو البيت مجرد جدران تشبه أي فندق يأكل الطفل فيه طعامه ويقضي أيامًا معدودات، لينتقل من ثَمَّ إلى فندق جديد عندما يبلغ ما يسمونه بالسنّ القانونيّة!



الأربعون في أخلاق الأسرة

أربعون خلُقًا من أخلاق الإسلام حول الأسرة
من سنة رسول الله ﷺ



الدكتور محمد صدّيق، من مواليد حلب السورية عام 1986، حاصل على إجاة في الشريعة من جامعة دمشق, وعلى الماجستير في الحديث من نفس الجامعة، كما حصل على شهادة الدكتوراه في الحديث من جامعة نجم الدين أربكان في قونيا التركية. له عدة كتب، من أهمها كتاب "أساليب التحفيز التربوية في السنة النبوية".



من إصدارات مؤسسة السبيل
www.al-sabeel.net